بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لم تكتفِ الصهيونية باستخدام الآلة العسكرية الجبَّارة في اغتصاب ما ليس لها بحق بل راحت تروِّج لأساطير دينية لتضفي الشرعية على أعمالها الإجرامية وراحت آلتها الإعلامية الجبَّارة تؤكد هذه الأساطير وتخلع عليها ثوب القداسة ، وهرولت الشعوب الغربية إلى تصديق هذه الأساطير بل والعمل على تحقيقها ، متهمة من يعارض هذه الأساطير بالقول أو الفعل بالتطرف والإرهاب ، وكانت النتيجة أن عُدَّ يهودُ الشتاتِ شعبَ اللهِ المختار المستحقَ للوعود الإلهية بتملك أرض فلسطين بعد تشتيت أهلها !! وأن أي مقاومة لهذه الأفكار والممارسات يعد جريمة في حق اليهود الذين عانوا من اضطهاد الأغيار لهم على طول الزمان !!

إن تفكير زعماء الصهيونية مبني على عدة أساطير يؤسسون عليها سياستهم ، وعلى أساس هذه الأساطير قام الكيان الإسرائيلي .

والتفكير العنصري الذي تبنته الصهيونية الحديثة إنما يعود بأصوله إلي فهم انتقائي جزئي لتوراة اليهود ولهذا فالتفكير العنصري الصهيوني ما هو إلا نتيجة من نتائج التحريف والتبديل الذي تعرضت له التوراة التي تعد بحق المنبع الأول للتفكير العنصري في اليهودية ومنه استمدت الصهيونية الحديثة أيديولوجيتها العنصرية .

فقد طورت الصهيونية كثيرا من المفاهيم القومية ذات الطابع العنصري ، ومن هذه المفاهيم ما استمدته من توراة اليهود مثل : أسطورة شعب الله المختار ، وأسطورة أرض الميعاد ، وأسطورة الخلاص الإلهي لليهود في آخر الزمان ...

والذي ساعد على رواج هذه الأساطير والإسراع في تحويلها إلى وقائع على الأرض ليس فقط تربص أعداء العرب والمسلمين بهم الدوائر لكن تقاعس العرب

أنفسهم عن نصرة دينهم وحماية حقوقهم ، وميلهم لممالأة أعدائهم بدلا من الاتحاد والتعاون مع بني جنسهم مما جعل بأسهم بينهم شديدا بدلا من أن يكونوا يدا على أعدائهم .

لقد قضت مشيئة الله تعالى أن يدمر على كل ظالم طغى في البلاد وأكثر فيها الفساد .

{ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ } [الفجر : ١١-١٤]

والأمة العربية في القرون الأخيرة طغت في البلاد وأكثرت فيها الفساد فابتلاهم الله تعالى بمن قهرهم وأذلهم واغتصب بلادهم لعلهم يثوبون إلى رشدهم ويعودون إلى نهج سلفهم الصالح الذين صدق إيمانهم وحسنت أخلاقهم وصلحت أعمالهم فنصرهم الله تعالى ودحر أعداءهم فأورثهم الله أرضهم فعمروها ، وأموالهم فلم سيتأثروا بها بل في الخير أنفقوها .

وإذا كان العرب اليوم في حربهم ضد أعدائهم يكتفون بالتغني بأمجادهم القديمة والدعاء على أعدائهم الساعات الطويلة دون الأخذ في أسباب النصر ، فإن أعداءهم اليهود الصهاينة والصليبيين الجدد لا يكتفون باحتلال أرضنا عسكريا بل يروجون لأساطير دينية لتبرير عدوانهم السافر وتجعل لهم حقا دينيا في أرضنا المقدسة !!

" كان بن جوريون بعد انسحاب مصر من سيناء ١٩٥٦ قد وقف في الكنيست يعلن ضم سيناء إلى إسرائيل ويستشهد بآيات من التوراة حاول أن يُحَمِّلها فوق ما تحتمل ليجعل منها شهادة زور تخدع التاريخ، وتُسِّخر المقدسات لتبرير الجرائم!" (1)

وأوضاع المسلمين والعرب الراهنة تَحْمِي الوجود الإسرائيلي في فلسطين والقدس، وتؤمِّن استمراره بأفضل مما يُؤَمِّنه السلاح والجنود، بل والأسلحة النووية؛

(1) محمد حسنين هيكل من مقاله نشر في مجلة " آخر ساعة " بتاريخ ١٩٥٧/١/٩

فهم لا يَقْدِرون إلا بعَجْزِنا، ولا يَأْمَنُون إلا بتَشَرْذُمِنا وتنازُعنا، ونحن ضاحكون هازلون .

ولما كانت نهضة أي أمة لابد أن تقوم على إيمان عميق بالحق وأساس صحيح من الفكر فقد شرعت في كتابة سلسلة " نحو فهم صحيح لحقيقة الصراع العربي الصهيوني " واستهللت هذه السلسلة بكتاب " الدين والسياسة والنبوءة بين الأساطير الصهيونية والشرائع السماوية " منذ نحو خمس سنوات ، ولما قررت إعادة طبعه رأيت تيسيراً على القارئ العزيز أن أجعله في كتابين منفصلين : الأول يتناول أساطير الصهيونية الدينية في ضوء الديانات السماوية ، والثاني يعالج أساطير الصهيونية السياسية ، كما أني يسرت مادة الكتابين وقرَّبت مقاصدهما وزدت ما جد على موضوعهما .

وهذا الكتاب هو الكتاب الأول ، ويحاول أن يكشف أساطير الصهيونية الدينية التي تسعى إلى جعل الدين أداة للسياسة بإضفاء القداسة عليها عن طريق قراءة حرفية وانتقائية للتوراة ، ويبين الكتاب موقف الديانات السماوية من هذه الأساطير .

وسارت خطة البحث في هذا الكتاب على النحو التالي ، عرض كل أسطورة مؤيدة بمصادرها التي تؤكدها من توراة اليهود أو كتابات علمائهم أو كتابات وتصريحات زعمائهم وساستهم أو الموقف الرسمي للدولة الصهيونية ، ثم نقوم بالرد علي كل ذلك ردا علميا مؤيدا بالأدلة الدينية والتاريخية والمنطقية ، بعيدا عن الانفعال أو إطلاق الكلام على عواهنه ، ثم نذكر موقف الشرائع السماوية من هذه الأسطورة ، غير منحازين لأي جماعة دينية على حساب جماعة أخرى إنما هدفنا الذي نرمي إليه تحري الحق ودفع التهم عن الشرائع السماوية الغراء التي أساء إليها كثير من المنتسبين إليها إما بسوء الفهم أو خطأ التطبيق أو بهما جميعًا .

وجاء الكتاب في أربعة فصول :

الفصل لأول : يناقش المرجعية النصية لأسطورة الأرض الموعودة ، ويبين مسلسل التحريف الذي جعل وعود الله لإبراهيم بملك أرض كنعان تؤول لإسرائيل دون سائر أبناء إبراهيم ، ويبين أن البقاء والاستمرار اليهوديين هما محض افتراء ، فأكثر يهود اليوم ليسوا أحفادا لبني إسرائيل إلا في الاسم والإثم . ويؤكد على أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده وفقا لسننه في خلقه . ويختتم الفصل ببيان أسباب انتصار اليهود على العرب في العصر الحديث ، وموقف المسلمين المعاصرين من خلافة الأرض .

والفصل الثاني : يناقش نصوص التوراة التي تثبت اختيار " يهوه " بني إسرائيل شعبا منتسبا إليه من دون سائر الأمم . ويرد على كل الأساطير التي يستند إليها اليهود لإثبات أنهم شعب الله المختار ، ومنها أسطورة أن بني إسرائيل أولُ المُوَحِّدين ! وينتهي الفصل بإثبات بطلان ادعاء وجود شعب مختار لجنسه ، وإنما هناك مؤمنون صالحون ، وهناك كفار مفسدون ، وخلق بينهم كثيرون .

الفصل الثالث : يناقش النصوص التي يستند إليها اليهود لإثبات نقاء عنصرهم وصحة نسبهم لسام بن نوح ويثبت بالأدلة القاطعة الدينية والتاريخية أن العرب يعدون أصل السامية بعكس اليهود الذين اختلطت أعراقهم بأجناس شتى فلا تكاد تميز منهم ساميا واحدا . وأكد الفصل على أن أحقية العرب في فلسطين ثابتة تاريخيا وتوراتيا .

الفصل الرابع : ويناقش النصوص الخاصة بخلاص الله لليهود آخر الزمان وإبادة أعدائهم ويبين أن النصوص التي يستشهد بها اليهود على خلاصهم على يد الماشيخ في نهاية الزمان ليست خاصة بنهاية الزمان كما يحاول حاخامات اليهود إفهامنا أو كما يحاول حكام إسرائيل فرضها علينا . إنما خاصة بوعود " يهوه " ليهود السبي

الآشوري والبابلي بالعودة إلى أورشليم وقد انتهت هذه الوعود بعودتهم على يد " قورش الأكبر " ويختتم الفصل ببيان موقف الديانات السماوية من نبوءة الخلاص على يد المسيح في آخر الزمان .

والله أسال أن يتقبل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم فقد بذلت طاقة جهدي في كشف حقيقة الأساطير الصهيونية بكل دليل ممكن ، وكشف بعض المفاهيم الخاطئة التي استقرت في عقول وأفهام كثير من العرب والمسلمين والتي ورثوها من عصور التخلف والضعف وأورثتهم الذل والهوان .

محمد يونس هاشم

***

أما قبل

قبل أن نبدأ في ذكر المرجعية النصية للأساطير الصهيونية والرد عليها لابد أن نذكر ، إحقاقاً للحق ، أن هذه الأفكار لا يتبناها كلُّ اليهود ، ولا كلُّ الغرب ، فهناك من الجماعات اليهودية من يناهض هذه الأساطير ، ويناصبها العداء ويتظاهر ضد من ينادي بها (١) .

فاليهودية ديانة سماوية كغيرها من سائر الديانات السماوية الأخرى ، أما الصهيونية فحركة سياسية عنصرية متطرفة ومن حسن الحظ أن كثيراً من اليهود ليسوا صهاينة .

وعندما دعا تيودور هرتزل إلى إقامة دولة قومية لليهود عارضه معظم الحاخامات ، لأنهم وجدوا أن الصهيونية قراءة مغلوطة ومتعصِّبة للديانة اليهودية ، فإذا كانت الديانة اليهودية تدعو إلى العمل بشريعة الرب وهدي الأنبياء لاستحقاق اختياره وتحقيق وعوده والخلاص على يد الماشيخ ، فإن الصهيونية ما هي إلا تلك البدعة المتشددة التي استبدلت بالرسالة الإلهية قومية عنصرية ، وبإله إسرائيل دولة إسرائيل ، وبهداية الأنبياء العظام ضلال السياسيين اللئام ، وبانتظار الماشيخ المخلِّص السعي الحصول على الخلاص بالعنف والإرهاب .

إن المطلب الوارد في التوراة عن إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات هو أساس قائم على قراءة متطرفة للتوراة أي قراءة تحريفية تحوِّل الأقوال العظيمة التي قالها الرسل العظام لتجعل منها تاريخاً قوميّاً وحتى قَبَلِيّاً .

---

(١) مثل حركة " ناطوري كارتا " اليهودية الذي يتزعمها موشي هيرش، الذي كان يعمل مستشاراً لرئيس السلطة الفلسطينية الراحل ياسر عرفات للشئون اليهودية، والذي يعتبر إقامة الدولة العبرية خطأً وتدنيساً لاسم الله ، وذلك لأنه يحظر على اليهود إقامة سلطة يهودية في أرض إسرائيل قبل قدوم المسيح المخلص .

إن حركة " ناطوري كارتا " أيدت في الأعوام الأخيرة المنظمات " اللاسامية " والمناهضة لإسرائيل في الولايات المتحدة وأوروبا ويشارك أعضاؤها في مظاهراتهم، وكذلك في المظاهرات التي ينظمها فلسطينيون ومسلمون ضد الدولة العبرية .

إن هذا المطلب هو بدعة تُدعِّم السياسة الصهيونية . وهي تؤدي إلى المفارقة التالية ، فحَسَب إحصاءات الحكومة الإسرائيلية فإن ١٥ % فقط من الإسرائيليين متدينون وبالرغم من ذلك فإنها تحاول أن تجعل الغالبية العظمى من الشعب يؤمن بأن هذه الأرض – الممتدَّة من النيل إلى الفرات - ملك لشعب إسرائيل لأن الله قد وعده بها هذا الإله الذي لا يؤمن به الشعب أصلاً !!

إن بن جوريون الكافر هو الذي أطلق شعار " الأرض الممتدَّة من النيل إلى الفرات " هي ملك أبدي لشعب إسرائيل . ونهجت السياسة الإسرائيلية نهجه ففي إسرائيل عندما يستدعون الشباب للجندية يقدمون لهم التوراة وفيها خريطة عن إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات ، ويقولون إن تفكك المستوطنات خيانة كبرى لليهودية (1) .

فالصهيونية إذن عقيدة قومية لم تولد من الديانة اليهودية بل ولدت من القومية الأوربية في القرن التاسع عشر ، ولم يحرِّك مؤسس الصهيونية هرتزل دافع ديني بل عقيدة سياسية قومية استعمارية فهو يقول في يومياته :

" إنني لا أنقاد لأي دافع ديني .. فأنا لا غنوصي (أي أنه من اللا أدرية) (2)

فهو لا تهمُّه الأرض المقدَّسة بوجه خاص فهو يقبل أيضًا ومن أجل أهدافه القومية الاستعمارية بأوغندا أو طرابلس أو قبرص أو الأرجنتين أو موزمبيق أو الكونغو .. ولكن أمام معارضة أصدقائه من اليهود فإنه يعي أهمية الأسطورة القوية التي " تمثل صيحة للمِّ الشعث ذات قوة لا تقهر . (3)

فالصهيونية عقيدة سياسية ، وقومية عنصرية ، وأيديولوجيا استعمارية تلك هي الخصائص التي تشرح السياسة الصهيونية التي انتصرت في مؤتمر بازل في أغسطس ١٨٩٧ م .

---

(1) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " دار الغد العربي ص ٢٨٦ .
(2) تيودور هرتزل " اليوميات " طبعة فيكتور جولانسز نقلا عن " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ١٨ .
(3) نفسه ص ١٨

ولكن هذه العملية السياسية والقومية والاستعمارية لم تكن بأي حال تمثل روحانية الديانة اليهودية ، ففي نفس وقت انعقاد مؤتمر بازل انعقد مؤتمر في مونتريال في أمريكا جاء في بيانه الختامي :

" إننا نشجب تمامًا أي مبادرة تهدف إلى إنشاء دولة يهودية ، وإن أي محاولات من هذا القبيل تكشف عن مفهوم خاطئ لرسالة إسرائيل .. التي كان الأنبياء اليهود هم أول من نادى بها .. ونؤكد أن هدف اليهودية ليس بهدف سياسي ولا قومي ، ولكن روحي .." (1)

في هذا المؤتمر تمسك اليهود بروحانية اليهودية ، واعترضوا على المنحى الذي سلكه هرتزل في مؤتمر بازل الذي انتقى من الديانتين اليهودية والمسيحية ما يبرر أهدافه السياسية الاستعمارية " فهو يشير إلى عصر مسيحي حيث يعترف كل الناس بأنهم ينتمون إلى طائفة واحدة كبرى لإنشاء مملكة الرب على الأرض . (2)

وهكذا كان رد الفعل الأول للمنظمات اليهودية ابتداء من " رابطة حاخامات ألمانيا " وحتى " الاتحاد الإسرائيلي العالمي لفرنسا " و " الاتحاد الإسرائيلي في النمسا " وكذلك الرابطات اليهودية في لندن .

وهذه المعارضة حيال الصهيونية السياسية المستوحاة من التمسك بروحانيات الديانة اليهودية ، ما فتئت تعبِّر عن نفسها حتى في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، عندما استغلَّت الصهيونية الإسرائيلية مرة أخرى المخاصمات والمشاحنات التي دارت بين الدول في الأمم المتحدة ، ولاسيما التأييد غير المشروط من الولايات المتحدة لكي تفرض نفسها كقوة مهيمنة ، وتمكنت بفضل مختلف أنواع اللوبي من عكس الاتجاه وإنجاح سياسة القوة الإسرائيلية الصهيونية على العكس ما كان متوقعًا ولكنها مع ذلك لم تفلح في تكميم نقد كبار الروحانيين .

---

(1) المؤتمر المركزي للحاخامات الأمريكيين الكتاب السابع ١٨٩٧ ص١٢ نقلا عن " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص٢١

(2) نفسه ص ٢١

نقول هذا لأن كثيرًا من الكتابات العربية والإسلامية تخلط خلطاً فاضحًا بين اليهودية كديانة والصهيونية كسياسة . فالصهيونية قراءة مغلوطة ومتعصبة لليهودية ومن الخطأ الفاضح وَسْم الجماعات اليهودية كافة بميسم واحد ، ووصفها جميعاً بصفات واحدة تميزهم عن سائر البشر ، وغني عن القول أن هذا المفهوم يُفسِّر الواقع كلَّه بصيغة واحدة بسيطة جاهزة، ومن ثَمَّ فهو يتجاهل واقع أعضاء الجماعات اليهودية المُركَّب غير المتجانس، وهو واقع لا يخضع لقانون عام ولا ينضوي تحت نمط متكرر واحد . (١)

إن اليهود ليسوا سواء عبر الزمان والمكان ، فهناك سمات مميزة عرقيًّا وثقافيًّا ودينيًّا لكلِّ جماعة ، فبنو إسرائيل العبرانيون غير يهود السبي البابلي ، غير يهود السبي الروماني ، غير يهود المدينة على عهد النبي ﷺ غير اليهود الصهاينة في العصر الحديث فاليهود على اختلاف الزمان لم يمثلوا جماعة واحدة موحدة دينيًّا ، وثقافيًّا وعرقيًّا " ونحن نذهب إلى أن العبرانيين أي اليهود القُدَامَى ، كانوا يشكلون وحدة ثقافية وإثنية تتسم بقدر من التماسك والتجانس والوحدة . ولكن مع انتشار اليهود في أرجاء العالم في مجتمعات مختلفة ، لكلٍّ تقاليدها الحضارية والدينية ، وتواريخها ، تَفاعَل اليهود مع هذه التقاليد والتواريخ وخضعوا لمؤثراتها ، شأنهم شأن كل الأقليات والبشر .

وقد بدأت عملية الانتشار مع التهجير البابلي ، ولكن وتيرتها تصاعدت مع ظهور الحضارة الهيلينية والرومانية .

وقد اكتملت عملية الانتشار والتَفرُّق مع هدم الهيكل في عام ٧٠م على يد تيتوس، وكذلك سقوط العبادة القربانية المركزية وأية سلطة دينية مركزية يهودية. وقد تَحوَّل اليهود نتيجة هذه العملية إلى جماعات مختلفة متفرقة غير متجانسة. ونحن نفضل استخدام مصطلح " جماعات يهودية " على مصطلح " يهود " لأن

(1) د. عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م٢ ج١ " طبيعة اليهود " بيت العرب للتوثيق العصري والنظم .

المصطلح الأخير يؤكد التَماسُك والتَجانُس والوحدة حيث لا تَماسُك ولا تَجانُس ولا وحدة " (١)

فهناك جماعات يهودية مُلحِدة لا دين لها ولولا خوفهم من الطرد من إسرائيل لتنصروا أو أسلموا ، وهناك جماعات يهودية غربية تؤمن بالعلمانية الغربية الشاملة، وهناك جماعات يهودية شرقية رجعية متخلّفة ، وجماعات يهودية دينية متطرِّفة تريد أن تبيد كلَّ الأغيار من غير اليهود ، وجماعات صهيونية تنادي بعودة اليهود إلى أرض الميعاد تحت لواء القوى الإمبريالية أو الصهيونية العالمية ... كذلك ليس كل الغرب صهيونيًّا معاديًا للعرب ومناصرًا لدولة إسرائيل بل هناك كثير من الغرب المحب للسلام الداعي للحق والعدل يرفض الأساطير الصهيونية ، وإذا كانت هناك مباركة من كثير من الدول الغربية للممارسات الصهيونية فإن هذا يرجع لأسباب كثيرة : منها الدعاية الصهيونية الجبارة التي تزيف الحقائق وتبرر الجرائم ، ومنها حجب المعلومات الصحيحة عن الشعوب ، وتضخيم الممارسات غير المسئولة من بعض المسلمين التي لا يستبعد أن تكون الصهيونية ضالعة فيها ، ومن المؤكد أن كثيرًا من هذه الممارسات كان لها أثرها البالغ في تغاضي المجتمع الغربي عن جرائم الحكومات الإسرائيلية في حق الشعوب العربية ، ومن هذه الممارسات غير المسئولة ذبح المدنيِّين الأجانب ، وقتل المدنيِّين العزل ، وخطف الأبرياء والتهديد بقتلهم ، واحتجاز الرهائن ...

تلك الجرائم التي ترتكب باسم الإسلام والإسلام منها براء فالله تعالى لا يحب المعتدين ولا يجيز العدوان إلا على الظالمين .

{ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ } [البقرة : ١٩٣]

***

(١) نفسه م٢ ج٢ " الجماعات اليهودية " .